

## من صحابة الرسول

## विक्क वर्ष विशेष व

## عبد الله بن عمرو بن العاص

بقلم نانیس محمد عزت

> الناشر ممكت مصتر ميتروكاة النيكار والمكاذ مشيع كامل مدول النوكاة مشايع كامل مدول النوكاة د: ١٠٨٩٤٠٠

## عبد الله بن عمرو بن العاص

قال « المُعلَّمُ عَبَّاسَ » لُوَلدِه : لقد كَـبِرتَ يا رَبيع ، ومنَ الواجبِ عَلَيكَ الآنَ أن تُساعِدَ أباك ، فتذهب مَعِيَ غدًا إلَى العَمل .

بُهِتَ رَبِيعٌ وقالَ لوالِدِه : أَذَهبُ معك إلَى العَمل ! إِنَّ عَملكَ هذا لا يُناسِبُنى ، ثمَّ إِنَّ عَملكَ هذا لا يُناسِبُنى ، ثمَّ إِنَّ عَملكَ هذا لا يُناسِبُنى ، ثمَّ إِنَّ عَملكَ الَّذِي تَقومُ بِه لا يُسمَّى عَملاً علَى الإطُلاق .

اِغْتاظَ أَبُوهُ وصَرِخَ فيه : لا يُعجِبُكَ عَملى ، وأَنا أَكسِبُ في اليَوم الواحد أَكثَرَ مَن مِائَةِ جُنيه ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمركَ بِطَاعَةِ والِدَيْك ، فَهُما أَدرَى النَّاسِ بِمَا يَنفَعُك .

ذهب ربيع إلى المسجد وهو مَهْموم ، يُفكّرُ فيما قالَه له والده . فوالده يُريد أن يَعملَ مَعه . كيف ؟ كيف له أن يَمُد يَدهُ ويسأَلَ النّاس ؟ كيف له أنْ يَعمل مُتستولاً كوالده ؟

وتَذكَّر رَبيعٌ قُولَ والِسَدِه : إِنَّ اللَّهَ يَـاْمُوكَ بِطاعَةِ والِدَيك . أيجِبُ عَليه حَقَّا أَن يُطيعَ والِدَه ، حتى لو أَمرَه بالتَّسَوُّل ؟

وبعدَ أن صلَّى رَبِيعٌ المَغرِبَ في المُسجِد، ذهبَ إلَى الشَّيخِ على إمامِ المُسجِدِ وسَالَه : \_ والدى يَأْمُونى أَنْ أَتَسَوَّلَ مَعه، ويُذكّرُنى بأمْرِ اللهِ بطاعَةِ الوالِدَيْن ، فماذا أَفْعل ؟ فال الشَّيخُ عَلِى : حاشا لِلهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَالَ الشَّيخُ عَلِى : حاشا لِلهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَد أَمَرَ بذَلِك . فقدْ قالَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالَى : هذ أَمَرَ بذَلِك . فقدْ قالَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالَى : هو وإنْ جاهداك على أن تُشرِكَ بى ما ليسَ لك بهِ عِلمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما في ليسَ لك بهِ عِلمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعْروفا ﴾ .

فَرِح رَبِيعٌ وقال : أَمُمُكِنَّ أَنْ أَرْفُضَ اللَّهابَ مَعَه ؟

قَالَ الشَّيخُ عَلِى : قَلْ لأَبيكَ إِنَّى أُريدُ أَن أَكُلُمَكُما مَعًا بعد صَلاةِ العِشاء .

وبعد صَلاةِ العِشاءِ جَلسَ الشَّيخُ عَلى يُحدِّثُ المُعلَّمَ عَبَاسًا ووَلَدَه ، فقالَ لَهُما :

- كيفَ لكَ أَن تَامُو النّبك بالتّسوُّل ؟ ألم تَعلمْ بأنَّ اللّهَ - سُبحانَهُ وتَعالى - قد نَهى عنْ سُؤالِ النّاس ؟ وأنَّ النّبيَّ - صلّى اللهُ عَنْ سُؤالِ النّاس ؟ وأنَّ النّبيَّ - صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قالَ لرّجُل : ( لئنْ تُحتَطِبْ أكْرهُ إليكَ من أَن تَمُدَّ يَدكَ لِلنّاس) ؟

قَالَ المُعلَّمُ عَبِّاس : إنَّى أَكسِبُ منَ التَّسوُّلِ في اليَومِ الواحِدِ أَكثَرَ مِمَّا أَكسِبُهُ من أَى عَمل آخر .

قال الشَّيخُ عَلى : قد تكسِبُ أكثر ، ولَكِنَّك سَتُلاقى ربَّك يَومَ القِيامَةِ وأنت أسودُ الوَجهِ مُكفَهِرُ الجَين . ثمَّ أَخْبِرنى .. أَى طَاعَةِ لِلوَالِدَيْنِ هذه الَّتى تُويد ابنك أن يَلْتَزِمَ بها ؟ يَجِبُ عَليكَ أنْ تَامُرَه بِطاعَتِكَ فَى الْخَيرِ ولَيس فى مَعصِيةِ اللّه . إنَّ عبد فى الخَيرِ ولَيس فى مَعصِيةِ اللّه . إنَّ عبد اللّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العاص ، أطاعَ والله والله كارِها يومًا واحدا ، وقضى ما بَقى من عُمْرِهِ نادِمًا على أنْ فَعَل .

قالَ رَبيع : وما الّذي فَعلَهُ لِيَندمَ عَليه طِوالَ عُمره ؟

قَالَ الشَّيخُ عَلَى : لقد كانَ عبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ عابدًا زاهِدا ، لا يَعرِفُ من الحياةِ إلاّ المسجد والعِسادة وقِسراءة القُرآن ، والصَّلاةَ والصِّيامَ والجهادَ في سَبِيلِ اللَّهِ . فكانَ يَصومُ ولا يُفطِر ، ويَقرأ القُرآنَ منَ الفَجر إِلَى الفَجر ، وكانَ شَـديدَ الحِرص عَلَى حِفظِ القُرآن ، فَما نزَلتُ آيَةٌ إلاّ وكانَ سَبَّاقًا إلَى حِفْظِها وفَهم أوامِرها ونُواهِيها والعَمل بها . وكانَ على الدُّوام في مُقدِّمةِ المُحاربينَ في سَبيل اللَّه ، فإنْ لم تكُنَّ هُناكَ حَربٌ فهو في المسجدِ مُداومًا علَى ذِكر اللّه . أَتَعلَمُ يا رَبيعُ أَنَّ عَبدَ اللّهِ ابن عَمرو لم يَعرفُ لِسانَهُ حَديثًا من أحاديثِ الدُّنيا أبدا ، مَهما كان حَديثًا حَلالا ؟ فهو

قَالَ رَبِيع : وما هو العَملُ الَّذَى يُمكِنُ أَن يَعَدُ الله ؟ فَهُوَ مِنَ الدَّاكِرِينَ الله . يَعَدُ الله ؟ فَهُوَ مِنَ الدَّاكِرِينَ الله . ردَّ عَلَيهِ الشَّيخُ عَلَى يقولِهِ : عَلِمَ الرَّسُولُ لَا عَلَى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ لَا بَامْرِ عَبْدِ الله ، فَدَعاهُ وسَأَلَه : ( أَلُم أُخبَرُ أَنَّكَ تُصُومُ النَّهارَ لا تُعَاهُ وسَأَلَه : ( أَلُم أُخبَرُ أَنَّكَ تُصُومُ النَّهارَ لا تُعَاهُ وسَأَلَه : ( أَلُم أُخبَرُ أَنَّكَ تُصُومُ النَّهارَ لا تُعَامُ ؟ ) .

ردَّ عَليهِ عَبدُ اللَّهِ بالإيجاب.

ولأنَّ الإسلامَ هو دينُ الاغتدالِ في كلِّ شَيء ، فقد نهاهُ الرَّسولُ \_ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ \_ عن ذلك ، وقالَ : (إنَّى أصومُ

وأفطِر، وأصلَّى وأنام، وأتزوَّجُ النَّساء، فَمن رَغِبَ عن شَيء من ذَلك فليْسَ مِنْسى). وأمرَه بأنْ يَصومَ صِيامَ ذَاودَ عَليهِ السّلام ، قَائِلاً: ذَلِكَ أَفْضَلُ الصِّيامِ ، يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يَوما ، وأَن يَقرأَ القُرآنَ كُلَّ شَهر مَرَّة ، وإِنْ أَرادَ فَكُلَّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ مَـرَّةً ، وإِنْ قَـلِرَ فكلَّ ثَلاثَةِ آيَام مَرَّة ، وليسَ أَقلَّ من ذَلِك . ثمَّ ينهي الرَّسولُ \_ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسلَّمَ \_ حَديثُهُ معَ عبدِ اللَّهِ قَائِلاً : افْعَلْ ما أَمَرَتُكَ وأَطِع أَباكَ .

وتُمرُّ الأَيَّامَ وتَزيدُ الفِتَن ، ويَزيد التَّمرُّدُ بَينَ الْمُسلِمِين ، فهذا مُعاوِيَةُ بنُ أَبى سُفيانَ يُطمَعُ في الجِلافَةِ بعد مَقتَلِ عُثمانَ بنِ عَفّان ، ويَزعُمُ أَنَّهُ أُولَى بها من علىِّ بن أبى طالِب \_ كرَّمَ اللَّهُ وَجِهَهِ \_ وتَنشَأُ الحَرِبُ بِين الطَّائِفتَيْن . ومَضت مَوقِعَـةُ الجَمَل وجاءتُ مَوقِعةُ صِفِّين . ويأمُرُ عَمرُو بنُ العاص \_ أبو عبدِ اللَّهِ ــ ولَـدُهُ أن يَخرُجَ لِلقِتــال فــي صُفوفِ مُعاوِيَة ، فَعَمْرٌو داهيَةٌ مَاكِر ، يَعَلَمُ مَسادَى حُسبٌ المُسلِمينَ الأبنِيهِ عبد اللَّه، وتُقديرهم لَه ، فهو يُريدُه في صَفْه ليَكسِبَ جُموعَ المُسلِمينَ معه .

ويَرفُضُ عبدُ الله . فكيفَ لَـه أَنْ يُحارِبَ مُسلِمًا وقد قالَ اللّـهُ تَعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُل مُؤمِنًا مُتَعمَّدًا فَجَزارُهُ جَهنَّـمُ خَالِدًا فيها وغَضِبَ اللَّهُ عَلِيهِ ولَعنَه وأعدَّ له عَذابًا عَظیما ﴾ .

ولكنَّ عمرو بن العاصِ يُذكِّرُهُ بامرِ الرَّسولِ بـ لَـه بأنَّ الرَّسولِ بـ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم بـ لَـه بأنَّ يُطيعَ أباه فيخرُجَ ـ عبدُ اللَّه ـ كارها عازِما في نفسه ألاَّ يُحارِب .

قَالَ الْعَلَّمُ عَبَاسَ : حرح عبدُ اللَّهِ لقتالَ الْمُسلَمِينَ رغْمَ عِلْمَهُ خُرِمَةِ دلك، وهُو العابدُ الْمُتعبَد؟ قَالَ الشَّيخُ عَلِيَّ : لقدْ أطاع أباهُ في أمْرِ يَعلَمُ أَنَّهُ مَكْرُوةٌ حتى لا يُغضب أباه ، ولكِنَّ يَعلَمُ أَنَّهُ مَكْرُوةٌ حتى لا يُغضب أباه ، ولكِنَّ يَعلَمُ اللَّهُ مَكْرُوةً حَلَى عَلَيهِ النَّدَمِ مَا يَقَى لَهُ مَن يَلكَ الطَّاعَةَ جَلَبتُ عَليهِ النَّدَمِ مَا يَقَى لَهُ مَن عُمْرُه ، فقد قُتِل في تِلكَ المُعرَّكَةِ «عمَّارُ بنُ عُمْرُه ، فقد قُتِل في تِلكَ المُعرَّكَةِ «عمَّارُ بنُ

ياسِر » وقَد تَنبَّأَ الرَّسولُ \_ صلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ \_ من سَبْع وعِشرين سَنةً بقولِه: (وَيُحَ ابن سُمَيَّة ! تَقْتَلُهُ الفِئَةُ الباغِيَة ) . إذَنْ فهَوَلاء الَّذين خرجَ معهم هُم الفِئَةُ الباغِيَــة . وهاجَ عَبدُ اللَّهِ وماجَ كيفَ يُحارِبُ مَع الفِئةِ الباغِية ، فيَنطَلِقُ في جَيش مُعَاوِيةً مُناذِرًا إيّاهُم أنّهم بُغاة . ويَسودُ الوُجومُ جَياشَ مُعاوِيَة ، ويَخافُ مُعاوِيَةُ منَ الْهَزِيمَة ، ويَسأَلُ عَبِدَ اللَّهِ : فَلِمَ خُرجْتَ مَعنا ؟ ويَرُدُّ عَبِدُ اللَّهِ : لأنَّ الرُّسولَ - صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسَلَّمَ - أمرَني أنْ أطيعَ أبي . ويُنقِذُ عَمْرو بنُ العاصِ الماكِرُ المَوقِفَ وقال : إنَّما قَتلَ عمارَ بنَ ياسِرِ الَّذيبن خَرَجوا به وحَمَلوه مَعهُم إلى القِتال .

ويَستأنِفُ الفَريقانِ القِتالِ .

قَالَ رَبِيع : وماذا فعلَ عبدُ اللهِ بعدَ ذلك ؟ قَالَ الشَّيخُ عَلِى : عادَ إلَى مَسجِدهِ قَالَ الشَّيخُ عَلِى : عادَ إلَى مَسجِدهِ وعِبادَتِه ، وقَضَى ما بَقَى من عُمرِهِ نادِما ، فكُلَما تذكر تلك المعركة بكى وقال : مالى ولصفين ؟ مالى ولقتال المسلِمين ؟

ولقِی عبدُ اللّهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ ربّهُ وهـو فی الثّانِیَةِ والسَّبعینَ من عُمْرہ ، بعدَ أن قَضَی ما بَقَی له مِن عُمـرِه فی المَسـجِد ، یتضـَـرَّ عُ إلَـی اللَّهِ ويُسبِّحُ بَحَمدِه ، ويَستَغفِرُ لذَّنبِه .

قَالَ اللَّعَلَّمُ عَبَّاسَ : عِندَ ما دَعوتُ رَبيعًا لِلعَمل مَعى ، كنتُ أَفكُرُ في مَصلَحَتِه .

قَالَ الشَّيخُ عَلِى : وما هى المصلَحةُ فى التَّسوُّل ؟ دَع ابنكَ يَدْهَبُ إلى مَدرَسَتِه ، التَّسوُّل ؟ دَع ابنكَ يَدْهَبُ إلى مَدرَسَتِه ، ويَتعلَّمْ ليَشُبُّ رَجُلاً عامِلاً يَنفَعُ المُجتمَع ، وليس عاطِلاً يَعيشُ عالَةً على النّاس . وأنت يا مُعلِّمُ عبّاس ، ألا تَحجَلُ من سُؤالِ النّاس ؟ إلَّ مُعلِّمُ عبّاس ، ألا تَحجَلُ من سُؤالِ النّاس ؟ إلَّ مِضعَةَ قُروشٍ قَليلَةٍ تَكسِبُها من حَلال ، أَبْوكُ مِن الجُنيُهاتِ اللّه يَكسِبُها من حَلال ، أَبُوكُ من الجُنيُهاتِ اللّه يَكسِبُها مُن حَلال ، أَبُوكُ مِن الجُنيُهاتِ اللّه يَكسِبُها مُتذَلّلاً لِلنّاس .

قَالَ المُعلَّمُ عَبَّاس : ولَكنَّى لا أَعرِفُ أَيَّةَ مِهنَة ، ولا أَتقِنُ أَيَّةَ صَنْعَة . قَالَ الشَّيخُ عَلَى : إذا عَزِمتَ على التَّعلَّمِ فَذَلِكَ أَمْرٌ سَهل . اللهِمُّ هو أَنْ تُريدَ أَن تَتَعلَّمَ أَى مِهْنَة ، وأنا \_ إنْ شاءَ الله \_ سَأَعَرَّفُك بَعض الإخوة الذّينَ يُمكِنُ أَن يُعاوِنوك . بَعض الإخوة الذّينَ يُمكِنُ أَن يُعاوِنوك . والله ولِيُّ التَّوفيق .

قَالَ رَبِيع : شُكرًا جَزِيلاً لَكَ يَا شَيْخُ عَلَى ، فأنت إنّما تَقومُ بِعَمَلِ جَليلٍ لَن أنساهُ لكَ العُمرَ كُلّه .

قالَ الشّيخُ عَلَى : لا شُكرَ على واجب ، ( والله لأنْ يَهدِى الله بلك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النّعَم ) أى الإبل الحُمْرِ ، وهى أنفَسُ أموال العَرَب .